

## سوريا إلى أين؟؟؟

### الكولونيل شربل بركات

عندما أطلقت يد سوريا، لغاية في نفس يعقوب، في كل المنطقة وخاصة لبنان، خال السوريون أنهم أدكى من الآخرين.

وعندما تخطى السوريون كل المقاييس والقواعد المعمول بها بين الدول والشعوب ولم يردعهم أحد، اعتقدوا أنهم معصومون.

وعندما قتلوا الرؤساء والزعماء والمشايخ والكهنة والصحافيين والمفكرين بالإضافة إلى السفراء والديبلوماسيين ظنوا أنهم يمسكون زمام الأمور وأن أحدا لن يجرؤ على إيقافهم، فهم يعرفون الأسرار ويملكون المفاتيح.

أما الأسرار فهي، بنظرهم، نقاط ضعف الديمقراطية في العالم، وهي الخوف من التضحيات أو الضحايا، والتهيب من المغامرات في غير محلها. وهي أيضا تعدد الآراء وحساسية العامة في المجتمعات المنفتحة تجاه الانزلاق نحو المخاطر أو التسلط والرأي الواحد.

أما المفاتيح فهي الإرهاب وثم الإرهاب. فقتل سفير يرهب السفارة والبلد التي جاء منها. وقتل صحافي يرهب الصحافة مجتمعة. وقتل رجل دين يرهب كل رجال الدين. وقتل رئيس يرهب الرئيس القادم.

فعندما قتلوا جن بلاط صار خليفته رهن أيديهم يقول ما يريدون ويعمل ما يأمرون، فخرّبوا الجبل، وهجروا الناس، وزرعوا حقا قد لا تقنيه الأيام، وخوفا جعل الضحية تتمسك بالجلاد وتسوق له، تهجما على الكبار وتكبيلا بالصغار.

وعندما قتلوا الإمام والمفتي صار البطارقة والرهبان، والمطارنة والمشايخ، يدعون لهم في الكنائس والجوامع، وصار سياد الشيعة من آل البيت مرتزقة لهم يدفعون بشبابهم للانتحار كي يدوم ظلهم، وهم يعرفون أن زيارة "الست زينب" لا تزال ممنوعة عليهم.

وعندما قتلوا بشير لم يجرؤ أمين أن يحاكم قاتله أو يبرم الاتفاق الذي وقعه كل لبنان. وعندما قتلوا معوض أمنوا خليفته وكل العشيرة.

ولا نريد أن ندخل في تفاصيل قتلهم لسليم اللوزي الذي أحرقوا يده بالأسيد كي يتعلم الصحافيون المراقبة الذاتية. لأن مقتل رياض طه لم يكن علمه على ما يبدو.

أما في المجازر الجماعية والتهجير فإن مجزرة بيت ملات مثلا جعلت أبناء عكار وعلى رأسهم عصام فارس يضعون كل إمكانياتهم بتصرفهم ليضمنوا "مستقبل الأجيال".

وقتل داني شمعون وعائلته بأشنع ما يكون روض كل أمراء الحرب وطوع الرؤوس العنيدة.  
وقتلهم سفراء الدول الكبرى جعلهم مقربين من هذه الدول ومخابراتهم معتمد عليها.  
أما عملية إخلاء الساحة من كل الأجانب فقد استحقوا عليها وسام إذلال الغرب وسلطة مطلقة  
لإرهاب الشرق.

واستغلوا رحابة صدر ليبيا عندما ألصقوا بها مسؤولية تغييب الإمام كما مسؤولية الخطيب  
وتقسيمه الجيش، وهم لم يجرؤوا على مواجهته موحدا، فحملوها للوكربي.  
وفجروا مقر المارينز والمظليين الفرنسيين فهرب الغرب وقواته من أمامهم.  
واعتقدوا أنهم قادرون، فرفضوا أي صلح أو تفاوض، وهيجوا الناس وأكثروا من الرعب، ولم  
يفكروا مرة أن هذا القدر من الخي قد ينقلب عليهم.

سوريا اليوم محشورة في زاوية إرهابها فقد رفضت التفاوض مع إسرائيل على السلام بالرغم من  
كل ما عرض عليها، ورفضت التخلي عن الإرهاب حتى عندما جرحت أمريكا في القلب، ولم  
تعرف التراجع يوم سقط صدام معتمدة على حاجة العالم لها، ولم تعط لبنان متنفسا ليصلي لها بدل  
أن يشمت بها، كيف لا وهي قد جرعت كل السموم؛ فقتلت من بنيه مئات الألوف، ولا تزال تهيج  
بعضهم على بعض وتدفع بهم إلى الانتحار بعد أن سرقت لقمة عيشهم، ومدعاة فخرهم، وسلبتهم  
الحرية التي طالما تغنوا بها، والعزة التي لم تفارق أي من أجيالهم، وجعلت انفتاحهم انغلاقا،  
ومحبتهم حقدًا، وضيافتهم غدرا.

سوريا هذه تسير نحو حتفها فهي تعتقد أنها لا تزال قابضة على خيوط اللعبة، ولا تزال تسيطر  
على نفوس السذج، ولا تزال تحتمي بشعارات الشوارع وثياب الأرامل ومآسي الفقراء.  
سوريا هذه التي تدفع بالمخربين يوميا إلى العراق ليقتلوا أبناءه بعد أن فشلوا في قتل الأميركيين،  
تعتقد أن قتل أكبر عدد من الناس ودب الرعب في بغداد، كما فعلت في بيروت، سيجعل الكل  
يهرع لها يتوسط حمايتها ويطلب مساعدتها مقابل أن تطلق يدها من جديد في عملية أخرى مثل  
لبنان وغلة جديدة كغنائمه. ولكن اليوم ليس الأمس، والتاريخ لا يعاد ألف مرة، وسنة الحياة أن  
لكل ظلم نهاية، ولا يمكن أن يقوم الشرق من ثباته وبقايا من نازية هتلر تتحكم برقاب العباد،  
والأميركيين ليسوا وحيدين في وقفهم ضد هذه الأشكال من الإرهاب وهم يعرفون من يدعمه ومن  
يدفع بزمره للانتحار والقتل.

سوريا قد تكون بيئت من الاستجداء وهي تحاول لأخر مرة أن تستخدم سلاحها في المواجهة  
الكبرى، لأنها تعلم جيدا ماذا اقترفت أيديها، وتعرف أن الأوان قد حان لدفع فاتورة الشر الذي

نشرته، وهي تشعر أن الخناق يضيق عليها، ولذا فقد دفعت في أسبوع بأكثر العمليات التي يمكن أن تقوم بها، فأطلق جماعتها الصواريخ، وفجروا السيارات في المدنيين، لأنهم لم يقدروا على الجيش، وهاجموا رجال الأمن العراقيين لأنهم بدأوا يضايقونهم، والصليب الأحمر لكي يزيدوا من حجم الضحايا ويلفتوا الإعلام وهو وسيلتهم للضغط على الشارع الأميركي، ولكنهم في كل ما يفعلون يصطدمون بقيادة واعية ورئيس حازم وحكيم قد عرف كيف يتخذ القرار ولمس بالضبط أين يكمن الشر، وسوف يقتلعه، بدون شك، ويريح منه شعوب المنطقة كلها.

سوريا تشعر بالخوف وتتصرف تماما كمن وقع في كمين نصبه لغيره ولم تعد تعرف ماذا تفعل. فهل تفودها قيادتها الضالة إلى الانتحار؟ وهل من استعمل هذا الانتحار سلاحا قتل فيه الكثيرين لا بد أن يقع في حباله ويصبح في النهاية من ضحاياه؟

الأيام القادمة لا بد سوف تأتينا بالخبر اليقين، والشعب العراقي، كشعب لبنان، سوف يعرض على جراحه ويمضي إلى الأمام، لأنه تخلص إلى غير رجعة من ذيول التسلط والإرهاب، ولن يعود إلى تلك الأيام الحالكة. ولكن هل يستفيق شعب سوريا من ثباته وقد طوقته شعوب تحلم بالحريّة تنادي عليه أن يلتحق بالركب؟ أم أنه مكبل بالحديد ولن يجرؤ على التفلت إلا بعد أن يقطع رأس الشر وتكسر ماكينة الإرهاب المتملكة في أرض الشام؟.

٢٠٠٣/١٠/٢٨